ثم حكى ا سبحانه نوعا ثالثا من تعنتهم وتلاعبهم بآيات ا فقال : 15 - { وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات } وفيه التفات من الخطاب إلى الغيبة إعراضا عنهم والمراد بالآيات الآيات التي في الكتاب العزيز : أي وإذا تلا التالي عليهم آياتنا الدالة على إثبات التوحيد وإبطال الشرك حال كونها بينات : أي واضحات الدلالة على المطلوب { قال الذين لا يرجون لقاءنا } وهم المنكرون للمعاد وقد تقدم تفسيره قريبا : أي قالوا لمن يتلوها عليهم وهو رسول ا A { ائت بقرآن غير هذا أو بدله } طلبوا من رسول ا A لما سمعوا ما غاظهم فيما تلاه عليهم من القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد الشديد لمن عبدها أحد أمرين : إما الإتيان بقرآن غير هذا القرآن مع بقاء هذا القرآن على حاله وإما تبديل هذا القرآن بنسخ بعض آياته أو كلها ووضع أخرى مكانها مما يطابق إرادتهم ويلائم غرضهم فأمره ا أن يقول في جوابهم { ما يكون لي } أي ما ينبغي لي ولا يحل لي أن أبدله من تلقاء نفسي فنفى عن نفسه أحد القسمين وهو التبديل لأنه الذي يمكنه لو كان ذلك جائزا بخلاف القسم الآخر وهو الإتيان بقرآن آخر فإن ذلك ليس في وسعه ولا يقدر عليه وقيل إنه A نفى عن نفسه أسهل القسمين ليكون دليلا على نفي أصعبهما بالطريق الأولى وهذا منه A من باب مجاراة السفهاء إذ لا يصدر مثل هذا الاقتراح عن العقلاء بعد أن أمره ا سبحانه بذلك وهو أعلم بمصالح عباده وبما يدفع الكفار عن هذه الطلبات الساقطة والسؤالات الباردة و { تلقاء } مصدر استعمل ظرفا من قبل نفسي قال الزجاج : سألوه إسقاط ما فيه من ذكر البعث والنشور وقيل : سألوه أن يسقط ما فيه من عيب آلهتهم وتسفيه أحلامهم وقيل : سألوه أن يحول الوعد وعيدا والحرام حلالا والحلال حراما ثم أمره أن يؤكد ما أجاب به عليهم من أنه ما صح له ولا استقام أن يبدله من تلقاء نفسه بقوله : { إن أتبع إلا ما يوحى إلي } أي ما اتبع شيئا من الأشياء إلا ما يوحى إلي من عند ا سبحانه من غير تبديل ولا تحويل ولا تحريف ولا تصحيف فقصر حاله A على اتباع مايوحى إليه وربما كان مقصد الكفار بهذا السؤال التعريض للنبي A بأن القرآن كلامه وأنه يقدر على الإتيان بغيره والتبديل له ثم أمره ا سبحانه أن يقول لهم تكميلا للجواب عليهم : { إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم } فإن هذه الجملة كالتعليل لما قدمه من الجواب قبلها واليوم العظيم هو يوم القيامة : أي { إني أخاف إن عصيت ربي } بفعل ما تطلبون على تقدير إمكانه عذاب يوم القيامة